مجلة خليج العرب
للدراسات الإنسانية والاجتماعية

تحليلات الدكتور أحمد قادم[1] البلاغية: للخِطاب؛ طُرَرُ النظرية، وبُؤَرُ العَمَلانية.

Dr. Ahmed kadim's Rhetorical Analyses of Discourse: Theoretical Frameworks and Practical Focuses [1].

الدكتور داود الهكيوي

Dr. Daoud El-Hakkioui

باحث بأكاديمية مراكش-أسفي

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss378

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية - تصدر من مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي
هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)
https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/

الملخص:

اتّصف الباحث أحمد قادم في مشروعه البلاغي النقدي، بالنظرة الكلية (البانورامية)؛ التي أغدقت عليه مُكْنَةَ تَشَرُّب موضوعاته والمنجز بتحكم وفاعلية؛ بفضل ما تستبطنه الإطلالة المشْرفة، والرؤيا الجامعة المكتملة من استحواذ على المشهد البحثي برمته. وقرينة ما ذُكر، فلاحه الباهر في تفتيق الموضوعات، واشتقاق الإشكالات، وكذا تصميم الأبحاث، ثم إنشاء المباحث والمطالب المسوَّغة بالعناوين الضابطة وتفريعاتها المنمّة عن حسن الإعداد والتدبير، وجودة التسيير والتحكم في مسارات الدراسات ومساربهن.

فقد ضفر أكاديميُّنَا في أعماله البحثيات بين النزوع العلمي، والهوى الأدبي. نلمس صبغته العلمية في التناول والبناء والمنهجية، والسعي صوب الحجاج والإقناع، ووضوح الرؤيا والتصور. بَيْنَا تتبدى لوثةُ الأدب المُحبّبَة الأثيرة، وفنيتُه لديه، في عشقِه للآداب، وهيامِه بلسان العُرْب والأعاريب والأعراب؛ منتخبا لمخطوطه أعطر المفردات التراثيات، و منتجبا لثمرات يراعه أظرف الجملِ؛ بديعاتِ التأليف عجيباته. وعلاوة على ما لُهِجَ به، أفاد أستاذ البلاغة والنقد من انشراعه المثنّى المتوازن على مصنفات التراث التليدات، وكذا ثمرات مطابع العصر الحديث الطارفات، ما صنع في هويته الأسلوبية العربية الخاصة، ضربًا من التواؤم والتعاضد؛ متسقَ المباني المقروءات، ومنسجمَ المعاني المفهومات.

واتسم مسلك الرجل البحثي - من زاوية أخرى - بحسن النقلة، وسلاسة التحول من سياق صوب آخرَ؛ من دونما قطائعَ أو وهدات أسلوبية تبدد اتساق المتن. واصطبغت هويته التأليفية كذلك بتشغيل المعجم العربي التراثي فينة بعد أخرى؛ وهو العنصر المتماشي ورؤيتَه للبديع الذي يعتبره بانيا للمعاني، مثلما هو مرصع للمباني، ومنمق لهن؛ أي وظيفة البديع تحسينا وتكوينا.

الكلمات المفتاحية : تحليل، بلاغة، خطاب، تنظير، تطبيق.

Abstract:

Researcher Ahmed kadim's critical rhetorical project is characterized by a holistic (panoramic) perspective, which has enabled him to absorb his topics and achievements with control and effectiveness. This is thanks to the implicit insight and comprehensive, comprehensive vision that encompasses the entire research landscape. This is evidenced by his remarkable success in detailing topics, deriving problems, and designing research, followed by creating justified topics and themes with concise headings and their branches, demonstrating good preparation and management, and excellent management and control over the paths and trajectories of studies.

Our academics have intertwined, in their research works, scientific inclinations and literary passions. We perceive their scientific character in their approach, structure, and methodology, their pursuit of argumentation and persuasion, and their clarity of vision and perception. Their beloved literary touch and artistry are evident in their love of literature and their infatuation with the tongue of the Arabs, Arabs, and Bedouins. They have selected for their manuscripts the most fragrant heritage vocabulary and have chosen from the fruits of their pen the most charming sentences; their wonderful and wondrous compositions. In addition to what they are famous for, the professor of rhetoric and criticism has benefited from their balanced and dual exposure to the long-standing heritage works, as well as the fresh fruits of modern-day printing presses, which has created in their own unique Arabic stylistic identity a kind of harmony and solidarity; consistent with the readable structures and harmonious with the understood meanings.

From another perspective, the man's research approach was characterized by a smooth transition from one context to another, without stylistic interruptions or lapses that would disrupt the coherence of the text. His authorial identity was also characterized by the use of the traditional Arabic lexicon, time after time. This element is in line with his vision of rhetoric, which he considers a constructor

of meanings, just as it is a stylist and embellisher of structures. In other words, the function of rhetoric is to enhance and form.

Here, I cannot fail to point out the intoxication of rhetorician Ahmed kadim, as he constructs his study, with precise, clear language, sparingly seasoned with vocabulary from the glorious, ancient Arabic language. He adorns his style, from time to time, with pure words, far removed from the plethora of repetition and functional exhaustion. The researcher has benefited from his close contact with the massive traditional works of Qur'anic exegesis, especially those massive encyclopedias that encompass the essence of Arabic, the source of eloquence, and the sparkle of Arabism.

Keywords: Analysis, Rhetoric, Discourse, Theorization, Application

عتبة:

"جَعَلْنا من التحليل هدفًا، ومن التنظير عاملا مساعدا، إذ الغاية أن نستفيد مما تراكم في التنظير البلاغي، وأن نفتح آفاقا أخرى لاستثماره"[2]. "وإذا كانت البلاغة أداة للتفسير واستكناه المعاني لدى المفسرين، فإن التفسير كان عاملا مساعدا على بناء القاعدة البلاغية لدى البلاغيين"[3]. "المقام التخاطبي، قد يجعل البرهان في مرتبة أقل من الشعر والخطابة"[4]. "وبقدر الدقة والمناسبة، تتفاوت الأساليب في البلاغة حتى تصل إلى مرتبة الإعجاز عُلوًّا، أو أصوات الحيوان تدحرجا"[5]. "صفوة القول إن(...) الآية [النوحية] الكريمة،(...) كانت جوابا على كثير من الأسئلة المحيرة في البيان والمعاني والبديع؛ من الناحية العملية"[6].

المقدمة :

"المقاربة البلاغية للخطاب، نماذج تحليلية"، للدكتور أحمد قادم، الصادر عن دار ركاز للنشر والتوزيع الأردنية، عام 2023؛ سِفر أنيق جِرمًا، وعِلق نفيس عِلمًا، غداة قُيض لهذه المقالات الرصينات تضفيرهن في مصنف جامع، حاز بدنه من الاحتفال في الأناقة والمتانة، وغنم جوهره من الصيانة في الغور والرصانة، ما جعله لافت المظهر، ناتئ المخبر. فاجتذب البهاء من مجامعه طرا؛ قلبًا والقالبَ: مفادًا وتناولا والمسلكَ، وألوانا وزخارف غلاف وطرز خطوط منتخبات. إصدار مهندم ومكتنز وإجرائيّ، متى لحظتَه برؤية العين الجارحة، وكذلك هو، إذ ترمقه بمقلة رؤيا البصيرة السارحة.

وحقيق بالإيراد أنه قد تحصل للدارسين قدر معرفي ثرّ، يسدّ طموح البحثة كافة بخصوص ميدان البلاغة، ويمكّنهم من اتخاذ أرضية صلدة ساعة يلِجُون ثغوره المنسحبة على تليد التراث وطارف المعيش، والمرتبطة بتخصصات شتى تخصّب التربة البلاغية بكنوز الراهن ومقدرات البذل. "وإننا إذ نقدم هذا الكتاب لعموم الباحثين في البلاغة والخِطاب، إنما نعرض تجربة ممتدة عبر سنوات من البحث في مجال البلاغة، خاصة في التحليل البلاغي للخطاب، مستفيدين بذلك مما تراكم لدينا من تجربة في تدريس هذه المادة لأكثر من عقدين في كلية اللغة العربية بمراكش، ومن الاشتغال ضمن فريق البحث في البلاغة والخطاب، الأمر الذي

1- الدكتور أحمد قادم، أستاذ التعليم العالي، حاصل على شهادة الدكتوراه من كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، بمراكش، والتي صار عميدا لها غبّ دراسته بها والتدريس لمديدات الأعوام. له أعمال منشورة شتى، وهو عضو مجموعة البحث في البلاغة والخطاب بالكلية المذكورة نفسها؛ ومنسق كل من (ماستر) البلاغة والخطاب، ومسلك الدراسات العربية.

2 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب، نماذج تحليلية. ط1. ركاز للنشر والتوزيع. إربد – الأردن. ص: 6.

3 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 81.

4 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 91.

5 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 93.

6 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 87 و88.

كان له أثر بالغ في جعل التحليل البلاغي ضمن الأولويات التي نتوجه إليها في البرنامج السنوي للأنشطة الجامعية، وفي المؤتمرات الدولية التي شاركنا فيها"[7].

مدارج الإقناع في التفسير الكبير:

استهلال:

قال الرحمن الرحيم: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله, وهو أعلم بالمهتدين)[8]. فرضت مدارج الإقناع أنْ تُتَناول هاهنا، بفضل تصور المفسر ذاته حول الآية محط العناية؛ حيث اعتبر نشر الرسالة مؤسسا على الحكمة أو الموعظة الحسنة، مع مخاطبة الفوضويين بالجدال. واتخذ الرازي تلكم المسالك صعدا ثلاثة، أرقاهن الحكمة، ومعتدلهن الموعظة الحسنة، وأخفضهن الجدال, "كما جعل المخاطَبين ثلاث مراتب؛ أعلاهم الحكماء، وأوسطهم العامة، وأدناهم المشاغبون الميالون للنزاع والخصومة"[9].

1- للحكماء الحكمة:

الحكمة ضمن جميع مساربها في تفسير الرازي، مشيدة فوق ركيزتين عمدتين تتمثلان في العلم الذي هو نهج الإدراك البحت, وتقمص خلال الرحمن، الذي هو إلى الإنصاف مأمٌّ وسَنن. فالعلم عند الرازي مهما ضَؤُلت كميته الموصوفة قرآنيا, إلا أنها منحت العباد ما (لا نهاية لقدره، وعدده ومُدته، ولا للسّعادات الحاصلة منه)"[10]. فـالفرز الواقع بخصوص الإدراك واللا إدراك، والحلكة والضياء، والغشاوة والوضوح، "إنما أريد به تمييز مرتبة الحكماء وجعلها متصدرة لبقية المراتب، وجعل الحجاج بالحكمة متقدما على غيره من طرق الدعوة إلى الله"[11]

استشف الرازي الثلاثة الطرائق عبر التوزيع المنبعث من الآية الجليلة: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله, وهو أعلم بالمهتدين)[12]. ففطن إلى أن المفاد المتحصل من إيراد هذه الكيفيات -متواليا أحدها تلو الآخر بفضل الواو العاطفة- حجة على تباينها نوعًا وتراتبيةَ وُرودٍ، "فالحكمة ليست هي الموعظة الحسنة، وكلاهما مغاير للجدال، ولكل من هذه الأقسام مرتبة يختص بها عن غيره، وصنف من الناس يتوجه إليهم"[13].

2- الموعظة الحسنة في مخاطبة العامة:

قُرن هاهنا بين مدارج الإقناع وطبائع المخاطبين, حيث حقائق الأرواح متنوعة جِبلةً، (فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجُسمانيات، كثيرة الانجذاب إلى عالم الروحانيات، وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجُسمانيات، عديمة الالتفات إلى الروحانيات)[14]. لذلك وجه الخطاب للجميع، بينما أدرك منهم الاقتناع, ثلة فقط.

---

7 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 5 و6.

8 - النحل: 125.

9 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 8.

10 - الرازي، فخر الدين. (1420هـ). التفسير الكبير. ط 3. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ج 2. ص: 400.

11 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 10.

12 - النحل: 125.

13 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 10.

14 - الرازي، فخر الدين. (1420هـ). التفسير الكبير. ج 20. ص: 288.

وعلى الجملة, فالعامة يوائمهم محتمل الكلام، إذ هو أنفذ تأثيرا على مهجهم من القطعيات؛ فإمكاناتهم المعرفية أدنى من استبصار القول البرهاني الخِلْو من التضارب، بيد أنها تناسب أديم الاحتمال المجلوب من اتساق المحتملات وتآزرها المتبادل. "لذلك كانت الموعظة الحسنة القائمة على المقومات الظنية، أنسب وسيلة حجاجية للتأثير فيهم وجعلهم منصاعين لمقتضيات القول"[15].

3- مجادلة أهل الشغب والفوضى:

حصر الرازي الجدال السلبي في ذاك الساعي تلقاء شرعنة الشر، أو تحصيل المنافع والنفوذ. بينما إيجابيُّهُ منحصر في سبيل يتيم مؤداه إحقاق الخير، وحث الأناسي إلى طريق الهداية. إنه ديدن المرسلين وهجيراهم. فالجدل لدى الرازي طرازان: الذي تأسس على ممهدات ذائعة عند الناس، أو تقدمات بدهية بالنسبة للمتكلم. وهو نوع مبني (على الوجه الأحسن)[16]. والذي تأسس على توطئات منكرة ومسالك خاطئة، "وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل، بل إن قائله يحاول ترويج الباطل على المستمعين بالسفاهة والشغب والحيل"[17].

إيجاز وإجمال:

الفصل بين تلكم التصنيفات والمدارج, حمل الرازي على ربط مهمة رسالة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، مستبعدا الجدال لانتصابه على الخصومة. فالحكمة في شرح الرازي للقرآن الكريم جهة سامية للإتقان، بَيْنَا الجدالُ ضفّة عالية للقصور، وفي البرزخ بينهما, أولئك لَمْ يُدركوا مصافّ أهل الحكمة المتقنين، من دونما جنوح صوب وهدة الفوضويين والمعاندين. "وأخيرا إن التفاوت في مراتب الحجاج، مرده إلى التفاوت في مراتب الخَلْق. وأعلى مراتب الخلائق هم الحكماء المحققون، فكان لزاما أن يُخاطَبوا بالحكمة؛ لأن اعتقاداتهم لا يمكن تغييرها بغير العلم المؤسَّس على اليقينيات"[18].

براعة التمثيل في الكشاف إمتاعًا والإقناعَ:

قال المولى عز وجلّ: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)[19].

1- في المثل والتشبيه:

"كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا، و(...) جوهر الاختلاف يكمن في طبيعة التمثيل الذي يبنى على التشبيه من حيث كونُه قياسا لشيء على شيء للمشابهة، لكن لا يستقيم الشبه في التمثيل إلا إذا انتزعت الصورة من مجموع مكونات التعبير، دون إمكانية الفصل بين بعضها البعض"[20].

2- أدوار التمثيل في الكشاف:

2-1- الجلاء واستيفاء البلاغة:

التمثيل زيادة توضيح وإجلاء للفحوى، فالأساس إنما هو تبليغ المفاد إلى المتلقي بإتقان وصفاء. فينفضح مسرح مكتوم الكلام، ويكتمل الاستيعاب باستيفاء البلاغة. وقد وظفت العرب المثل بغية ما ذُكر. فـ(لضَرْب العرب الأمثالَ, واستحضار العلماء المثل

15 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 12.

16 - الرازي، فخر الدين. (1420هـ). التفسير الكبير. ج 20. ص: 287.

17 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 15.

18 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 16 و17.

19 - البقرة: 16.

20 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 20.

والنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيَّل في صورة المتحقَّق، والمتوهَّم في معرض المتيقَّن، والغائب كأنه شاهد، وفيه تبكيت للخصم الألدّ، وقمع لسورة الجامح الأبيّ)[21].

2-2- اللامعتاد:

يَعسُر عزل براعة المثل عن عجائبيته؛ فعجائبيته قسط من براعته, ومنبع الإدهاش فيه. والعنصر المدهش الناشز؛ ما لم يُصنع مضارعُه، وهو موضع جذب للمخاطَب, يؤكده سهل بن هارون غداة قال: (إن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعدَ في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم، كان أطرفَ، وكلما كان أطرف، كان أعجب، وكلما كان أعجبَ، كان أبدع)[22].

2-3- بين التمثيل والتصوير:

مُثِّل الُمراءُونَ بمُضرمي النيران, فالمشهد مبني على الزمكان والشكل؛ فأما البرهة فعقب الإنارة؛ وأما الموضع فتكتنفه المهالك، بينما الشكل حالة الشخوص المعنية هنيهةَ خسارتها للضياء، ومحاولتها استرداده وسط حندس دامس "لا يتراءى فيه شبحان. فاجتمعت الظلمة والحيرة والخوف والمكان الخَطِر"[23].

3- التمثيل السديد:

من مثل "تشبيه الله عز وجل المخلصين للكفرة -لا لله- بالعنكبوت نسجت منزلها. قال عز من قائل: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت, لو كانوا يعلمون)[24].

"إن ضرب المثل بالمحقَّر هنا من صميم قوته وبلاغته؛ نظرا للتوافق الحاصل بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه. ولا يستقيم بعد هذا السداد أن يحرَّف النقاش إلى أطراف التمثيل, ويُترك جوهره المؤسس على المقارنة بين شيئين تجمعهما وجوه وتفرقهما وجوه، وكان التمثيل سبيلا إلى استكناه المعنى المحتجِب وإبرازه. وصدق الحق إذ يقول: (وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالِمُون)[25]"[26].

المحصلة:

أفلح الزمخشريّ في تقديم براعة التمثيل من خلال كشافه بمهيع إبداعي؛ توأم بين مياسم البهاء، ومطامح البيان, صادرا عن الكنوز اللسانية اللواتي يزخر بهن الفرقان المجيد. وتعتبر الأرضية اللغوية والبيانية، ضمن أبرز الوسائل الوظَفية لإضاءة مضامين الذكر الحكيم. وجاء التمثيل القرآني جسرا لجلاء الضوابط البيانية وإثرائها، وميدانا لأجرأة غزير منها. "فجاء الكشاف منسجما مع التعاقد الأولي الذي عقده الزمخشريّ مع قرائه في إماطة اللثام عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل؛ باعتماد البلاغة في عرض وجوه التأويل"[27].

روحُ المعاني وحجاجُ المشاغبين المغالِط:

21 - الزمخشري، جار الله محمود. (2006). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. ط 4. دار الكتب العلمية. لبنان. ج1. ص: 79.

22 - الجاحظ، عمرو. (1998). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط 7. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. ج 1، ص: 89 و90.

23 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 25 و26.

24 - العنكبوت: 41.

25 - العنكبوت: 43.

26 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 30.

27 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 37.

تمهيد:

ينبني التغليط جملة على الإصرار والترصد المسبق الهادف إلى التعمية عبر اللسان أو الشِّيَم؛ نِشدانا للزيف. فطموح المضلل التغرير بضحاياه, في إطار ما نعته بلاغيّ مهتمّ بـ(بلاغة التضليل والتعتيم)[28]، المناقِضة لبلاغة الإرشاد والإيضاح بحسب الأدبيات في "الحقل البلاغي الذي مجد البيان، واعتبره مناط الإبلاغ وأسّ الإفادة"[29].

فالعامل الضامّ لهذه النعوت جميعِهن، إنما هو استفزاز السوء والقلاقل والنزاع، لأن ظروف الآي أسيقة تداولية بين الرُّسل ومكذبيهم المنكرين للوحي الرباني، والمتهممين عبر الجدال الفوضوي بمشاكسة الأنبياء ومضايقتهم بأصناف الشطارة المتوافرة من مثل الهزء والجبروت والتنقيص.

أ- التغليط بالتزييف:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربيَ الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)[30]. والسؤال: ألم تر؟ دعوة للاندهاش, حيث استهل العزيز الجبار القول بالاستغراب من الوَقِحَةِ مُحاجّتُهُ في الخالق عز وجل، (وما أتى به في أثنائها من العظمة المنادية بكمال حماقته)[31] .

وعليه, - يوضح الدكتور أحمد قادم - فما اقترفه النمرود لا ينتصب حجة على أنه ربّ. لذلك ذهب الألوسي إلى أن التصدي لتفنيد هذا الزعم، هو بمثابة تعريف للمُعرَّف، ولهذا تجاهله إبراهيم سلام الله عليه، متحولا شطر حجة مغايرة وأقوى: (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب).

ب- التغليط التهجمي:

بُرهةَ توصدُ منافذ الحوار، تُشرع بوابات التهجم والإيذاء غالبا. "وقد قص الحق سبحانه كثيرا من القصص الذي تعرض فيه المرسلون للتعنيف والتنكيل، وكيف قوبل الحوار والحجاج بالحق، بأنواع من الإيذاء النفسي والجسدي"[32].

*** التهجم اللامادي:** ويُترجم إلى وضعيات شتى، أشهرهُن الوعيد والاستهزاء والإهانة.

- التغليط بالوعيد:

28 - أدراوي، العياشي. (2013). التخاطب السيء وصلته ببلاغة التضليل، نحو تقويم أخلاقي للخطاب. مجلة البلاغة وتحليل الخطاب. العدد الثاني. ص: 41.

29 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 41.

30 - البقرة: 257.

31 - الألوسي، السيد محمود. (2009). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. بيروت. المجلد الثاني. ص: 16.

32 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 47.

فمن الوعيد مثلا، "ما صدر عن فرعون في قوله تعالى حكاية عنه: (لئن اتخذت إلاهًا غيري، لأجعلنك من المسجونين)[33]. فقد ضرب صفحا عن الحوار، ولجأ للتهديد كما هو ديدن المحجوج العنيد؛ مبالغة منه في رد الرسالة، وقد كان يظن أن موسى كان يعتبره إلاهًا في السابق، وأنه الآن بحث عن إلاهٍ آخر. ولذلك ذكّره بعقوبة السجن؛ كأنه قال: (لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني)[34]"[35].

- التغليط بالاستهزاء:

فمن سخرية زمرة أهل الفوضى مجادلينَ الرسلَ، ردّ عشيرة لوط عليه السلام الوارد في المصحف الشريف؛ بما نصه: (ولوطا إذ قال لقومه أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالَمين. إنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون. وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم، إنهم أناس يتطهرون)[36].

- التغليط بكيل الاتهامات:

قال تعالى حكاية عن طغاة مصر: (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما، ويذهبا بطريقتكم المثلى)[37]. يظهر من مسار المجادلة -هاهنا- أن الشُّطّار انزاحوا بالحوار صوب التشهير بخصومهم، ووصم ما صدر عن موسى وهارون عليهما السلام بالشعبذة المنافية للحقيقة؛ كيما لا يُفْقَهَ من الرسالة إلا ما يبتغيه الجاحدون.

*** التهجم المادي:**

قال تعالى حكاية عن قوم إبراهيم عليه السلام: (حرقوه وانصروا آلهتكم، إن كنتم فاعلين)[38]، فكان العقاب بالنار امتدادا بدهيا لإخفاقهم في مسايرة خصمهم على صعيد التفاوض والنقاش.

تركيب:

تباينت الحوارات في الفرقان المجيد، وكثرت أقطابها والمتضمنات والمسالك، فجاءت وسما لتخطيط قرآني راسخ؛ يتخذ الحجاج والتداول بين المتخاطبين منفذا رئيسا للتداني والتعاون واطّراح المنازعة والزيف والاعتداء اللغوي، "جاعلا من تقبل الآخر شرطا مهما في إنشاء أو تغيير أو تثبيت الاعتقادات"[39].

والحوار هو الفاضح لتدليس المدلسين، وتعتيم الشطار، ولو حبكوا تحايلهم. فقد حاز حوار القرآن الحكيم الكعب السامق في تعرية خدع المغلطين، زَمَنَ يُخفقون في منافحة القرينة بالقرينة، فيلوذون بالتنمّر والطغيان، عوض الإنكار بالحجة، فيتعلقون بإثباتات الكبرياء والعُنجُهية والتمويه، "مما لا يصمد أمام الحق. فكانت قصص الأنبياء مجالا لعرض المحاورات وكيفية إدارتها، وطرائق العرض والاعتراض، والثبات على الحق، مهما كان للباطل من جبروت"[40].

البعد الإقناعي في قصة الخليل عليه السلام:

33 - الشعراء: 28.

34 - الألوسي، السيد محمود. (2009). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المجلد 7. ج 10. ص: 73.

35 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 49.

36 - الأعراف: 79-81

37 - طه: 62.

38 - الأنبياء: 67.

39 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 53.

40 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 54.

فرش:

تخصصت الحكاية الفرقانية في بث رسالة التوحيد، لذلك احتضنت قسطا من الإقناع معتبرا؛ لكونها هي نفسها قرينة، وبالنظر إلى طرائق التمرير المتبناة. والتنقيب في السرد المقدس، يتطلب حزمة من الاحتراسات المسلكية أولات العُلْقة بالمتن القرآني في المجمل، "وبالقصة القرآنية على وجه الخصوص. فالقرآن كلام الله، وهو (حجاجيّ في مجمله)[41]، لكن حجاجيته لا تنفي وجوها ومعانيَ أخرى"[42].

"وربط القصة بمحيطها، تستدعيه الاعتبارات السياقية والبلاغية والبنائية. فالقصص القرآني مباين للقصص الإنساني، والقصة القرآنية واقعية وربانية؛ تخلو من الخرافات والخيال، وتجمع بين الحقيقة والجمال، وتدعو في بنائها وتنوعها وأحداثها وأسلوبها إلى التدبر"[43].

1- ضفتا التحاور في الواقعة الخليلية:

عدّد الرحمن تعالى فرقاء الحوار في حكاية الخليل عليه السلام؛ فأورد إبراهيمَ ووالدَه وعشيرتَهما. قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرَ أتتخذُ أصناما آلهة، إنَيَ أراك وقومَك في ضلال مبين)[44].

2- الأطروحة:

نحن قُبالةَ حقيقة قرآنية، متضمِّنة لأطروحتين: التوحيد واطراح الإشراك، ثم الإشراك وعبادة الأوثان. إذْ تجنب الخليل عشيرتَه وآلهتهم المزعومة مصرحا: (إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني، فإنه سيهدين، وجعلها كلمة باقية في عَقِبه لعلهم يرجعون)[45]. والكلمة المعنية هي (لا إله إلا الله)؛ إنه حضّ على إفراد الجبار بالنُّسُك، وهجر "ما سواه من الأوثان، فجعلها دائمة في ذريته"[46].

3- وسائل التقرير والدحض:

3-1- الدحض:

عمل إبراهيم عليه السلام على دحض أطروحة منازعيه من الوثنيين، بتقرير تهافت عباداتهم؛ مستغلا حزمة من الطرائق هن الآتيات:

3-1-1- الإقرار بزعم المناوئ، ثم فضح ما يكتنفه من تضارب:

41 - صولة، عبد الله. (2007). الحجاج في القرآن. ط 2. منشورات كلية الآداب. منوبة - تونس. ص: 54.

42 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 56.

43 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 56.

44 - الأنعام: 75.

45 - الزخرف: 25-27.

46 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 59.

الادعاء بتقبل أطروحة الآخر، يحمل المعارِض على احتواء اندفاع العارِض، ما يُصيّر الميدان قُدامَه بسيطا لنسفها وتعرية ما يعتورها من تضارب. فتبنى الخليل سلام الله عليه هذه الكيفية لمّا افتحص تماثيل عشيرته مظهرا تقبله لها، "حتى إذا اطمأن قومه لذلك، استدرك بالوقوف على ما يعتريها من نقص"[47].

يقول الحكيم الخبير: (فلما جن عليه الليل، رأى كوكبا قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة، قال هذا ربي، هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قومِ إنّي بريء مما تشركون)[48].

3-1-2- حَمْلُ المعارِض على الاعتراف بما يقوّض أطروحته:

إنها من أفلح الطرائق في التقويض، يُحرّض المحاوِر عبرها خصمه على الإذعان لفساد زعمه. فنهج خليل الله هذه الوسيلة غِبّ نسف الأوثان اللائي تتنسكها قبيلته سوى أضخمهن. وعند استفهامهم إياه: (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)[49]، ردّ نبي الله: (بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم إن كانوا ينطقون)[50]. فَسَلكهم هُنَيْهتها بين حرجين؛ "إذ ورطهم بسؤال لا يمكن تجاوزه بأية حالة، وسيكون جوابهم مهما كان، دليلا عليهم وليس لهم. إنه دليل على عجز آلهتهم المزعومة"[51]؛ (فقالوا إنكم أنتم الظالمون، ثم نُكسوا على رءوسهم لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون)[52].

3-1-3- الاعتراض:

هو من سبل الدحض، أي رفض الإقرار للمناوئ بخصوص ما زعمه، بمعية نصب القرينة العاضدة، جاء في الواقعة القرآنية الإبراهيمية: (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا، إن الذين تعبدون من دون الله، لا يملكون لكم رزقا، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له، إليه تُرجعون)[53]

3-2- مسلكيات التقرير:

حيث يشكل هدم أطروحة المحاوَر، مناسبة تتيح للمعارِض اقتراحَ تصوره وتعليلَه، بزعم كونه عِوَضا عن طرح محاوَره.

4- صُوَى الزيف في دفاع الوثنيين:

على الرغم من زيغ عشيرته، إلا أن الحق عز وجل وسم ترهاتهم بالحِجاج؛ لحظة قال: (وحاجّه قومه، قال أتحاجّوني في الله وقد هدانِ)[54]. فظهر - والحال هكذا - أن الحِجاج يقع في الزيغ، مثلما يحصل في السداد. غير أن الحجاج في الخير يستدعي (أعظم أنواع المدح والثناء)، بَيْنَا الإقناع في الشر يستجلب (أعظم أنواع الذم والزجر)[55].

5- إقناعية التركيب اللغوي:

47 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 60.

48 - الأنعام: 77-79.

49 - الأنبياء: 62.

50 - الأنبياء: 63.

51 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 62.

52 - الأنبياء: 64 و65.

53 - العنكبوت: 16.

54 - الأنعام: 81.

55 - الرازي، فخر الدين. (1978). التفسير الكبير. ط 2. دار الفكر. بيروت. ج 4. ص: 81.

5-1- السؤال:

غادرت الاستفسارات المتبناة ضمن قصة إبراهيم عليه السلام مُفادها الفعلي، تِلقاءَ مقاصدَ بيانياتٍ، حققن أدوارا حجاجيات تجسّدن في ما يلي:

5-1-1- التقرير:

قال تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين)[56]؛ فغبّ اعترافهم بتقديس التماثيل، طفق إبراهيم عليه السلام يقوض زعمهم متوسلا بالاستفهام البلاغي بغية التطويق والإحراج.

5-1-2- التوريط:

".. كان جوابهم هروبا من مواجهة الحقيقة الساطعة، فقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)[57]، فشهدوا على أنفسهم بعد أن ورطهم؛ بأنهم يعبدون آلهة عاجزةً مُقلدينَ"[58].

5-1-3- العتاب والتقريع:

وصم خليل الله الأوثان التي يتبتل لها أفراد قبيلته بالتماثيل؛ ازدراء لها؛ لأنه في ازدراء المقدَّس، عتاب وتقريع لمقدِّسه.

5-2- الترسيخ:

يتسم ترسيخ الدلالات في فؤاد المستقبِل بمشاهدَ يتجذر بهن المراد في الحقيقة القرآنية الإبراهيمية، أجلاهنّ تَرْداد اسم الموصول (الذي)، والضمير (هو) في قوله تعالى: (الذي خلقني فهو يهدينِ)، (والذي يميتني، ثم يحيينِ). وأيضا إعادة (ربّي)؛ في تنويهٍ صوب الربّ الفعلي، عندما قال - عز من قائل - (ولا أخاف ما تشركون به، إلا أن يشاء ربي شيئا، وسع ربي كلَّ شيء علما، أفلا تتذكرون)[59].

تعليق:

انتشى الباحث - وهو يشيد دراسته - بلغة دقيقة جلية، مطعمة لماما بمفردات من تليد الضاد المجيد؛ حيث يرصع أسلوبه بين الفينة ومثيلتها بكلمٍ مصطفًى ناءٍ - المنتأى كله - عن غزارة التَّرْداد والإنهاك الوَظَفي. لقد أفاد الدارس من احتكاكه - عن كثب - بمصنفات التفسير القرآني التراثية الجسيمة، خاصة منهن تلكم الموسوعات الضِّخام الضامات لجوهر العربية، ومعدن البلاغة، ووميض الأعرابية.

56 - الشعراء: 70 و71.

57 - الشعراء: 74.

58 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 67.

59 - الأنعام: 81.

الدراسة البيانية لقوله تعالى: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك):

بسم الله الرحمن الرحيم: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغِيض الماء، وقُضي الأمر، واستوت على الجوديّ، وقِيل بُعدًا للقوم الظالمين)[60]. لا غروى أن علق عمر الأسبري قائلا: (لو فُتش كلام العرب والعجم، ما وُجد فيه مِثل هذه الآية؛ على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واجتماع المعاني فيها)[61].

أولا- الأجرأة البيانية ومكمن الإعجاز:

ترسخ في الألباب أن الله تعالى سيد الكون، والمهيمن على الوجود، ولذلك جاءت الآية بصيغة ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه؛ لإخفاء مصدر الأمر، إكبارا للآمر. فـ"الأرض أُمرت فابتلعت ماءها دون غيره، بالرغم من امتزاجهما. وهو دليل على عظمة الخالق.(...)، وقوله تعالى: (يا أرض ... ويا سماء) ...، يشعر أن تكليفه نافذ في الجمادات"[62].

وبما أن غير العاقل -من باب التصور البياني- لا يُخاطَب، فإن الأمر حثٌّ للإنسان على الاعتبار من قوة الجبار وقدرته والسطوة، بمسلك باهر. "صفوة القول إن المفسرين اعتمدوا البلاغة لتبيان إعجاز القرآن في هذه الآية، واستندوا إليها في حجاجهم للأخذ بظاهر اللفظ، أو الاعتراض عليه بالمجاز"[63].

ثانيا- المعرفة البيانية وسطوة التحسين والعدول:

الأمر الرباني: (يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي)، امتلك سناما شاهقا من البلاغة، وانضفر فيه ما تبعثر في سواه. من ذلك: النظم؛ فَ(هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجوديّ، وقيل بعدا للقوم الظالمين) (...)، أنك لم تجد ما وجدتَ من المزية الظاهرة،(...) إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلمِ بعضِها ببعضٍ)[64]. فالبراعة واللَّسَن والإفهام، وجميع ما يُقدَّم به قول على قول، مرتدة إلى جلب (المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته)[65]، وانتجاب الكلم الموائم له، القمين بإمداده بالفتنة والبهاء. ثم يضيف الناقد أحمد قادم: "لقد جئنا بهذا النص (...)؛ لأنه ملخص لمجموع رأي الجرجاني في نظم آي القرآن الكريم، باستعراض نموذج باهر"[66].

إنها براعة آية، أو قلْ هي آية البراعة، فَلا دهشة أن عوّل عليها البحثة في عرض مشهد وهاج عن التحدي الفرقاني؛ من جهة الحكي والمهيع وطرائق اقتراح الدلالة. "وقد استحقت الآية النوحية أن تكون بذلك آية البلاغة بامتياز، لما اجتمع فيها من نظم وإيجاز ومجاز، وتركيب وبيان وبديع. وهي مجموع المحاور التي تنافس الدارسون في استخراجها والتدليل عليها وإبراز وظائفها"[67].

60 - هود: 44.

61 - الأسبري، عمر. (1982). الرسالة الجودية في الآية النوحية. (ضمن: رسائل الفقه واللغة). تحقيق: عبد الرءوف الجبوري. ط 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ص: 115.

62 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 73.

63 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 77.

64 - الجرجاني، عبد القاهر. (1989). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط 1. مطبعة المدني. القاهرة. ص: 45.

65 - الجرجاني، عبد القاهر. (1989). دلائل الإعجاز. ص: 43.

66 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 79.

67 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 80.

وتثوب إعجازية اللسان العربي القرآني -هاهنا- إلى المعجم والتركيب كليهما؛ حيث (لا تعقيد يُعثر الفكر في طلب المراد، ولا التواء يُشيك الطريق إلى المرتاد)[68]. "وإذا كانت البلاغة أداة للتفسير واستكناه المعاني لدى المفسرين، فإن التفسير كان عاملا مساعدا على بناء القاعدة البلاغية لدى البلاغيين"[69].

1- البلاغة وصيغة اقتراح الدلالة:

أُسْتُعين على أداء معنى نفاذ الأمواه في التربة بكلمة (البلع)؛ المراد بها (إعمال الجاذبة في المطعوم، للشبه بينهما؛ وهو الذهاب إلى مقر خفي، ثم استعار الماء للغِذاء، استعارة بالكناية، تشبيها له بالغِذاء؛ لتقوى الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار، تَقَوِّيَ الآكل بالطعام)[70]. "ثم إنه لم يصرح في الآية بمن قال، ولا من غاض أو قضى الأمر وسوّى السفينة، وقال بعدا، سلوكا في ذلك مسلك الكناية؛ أن تلك الأمور العِظام لا تصدر إلا مِن قادر"[71].

2- التأليف الماهر:

يبدو أن تأويل صاحب المفتاح للشق التأليفي في الشاهد محط العناية، واستشفاف المفادات البيانية، لم يشذ عن سالف عمل أهل التفسير الأُلى فطنوا إلى غزيرٍ من المدهشات اللسانية، ولم يكن طموحهم من ورائها، سوى الانتهاء إلى دلالات الكتاب المجيد. إنّ الكلمات لا تختزنّ عنفوانهن في أنفسهن "- وهي فكرة سبق إليها الجرجاني - وإنما بتضافرها مع بعضها بالطريقة التي صيغت بها في القرآن الكريم"[72].

3- البديع صانعا للمعاني، قبل ترصيعه للمباني:

لم يهمل ابن أبي الإصبع المصري الأدوار البيانية للبديع؛ إنه لا يعتبره زينة مضافة، إنما عنصرا مشاركا في المعنى. فَجودة النظام لديه، تداخل فيها تلاؤم الجمل معجما ودلالة ونظْمًا، وشيد هذا الاتساق درجة باسقة من درجات البيان في الآية. "وأما باب الإبداع؛ فالمقصود به أن تتضمن الألفاظ بديعا، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة، ضربان فصاعدا"[73].

ثالثا- الاختزال في القصّ الفرقاني:

هناك اختزال الإيجاز؛ حيث الإدلاء بالدلالة الغزيرة عبر الكلم النزر. وقد سالت أمواه مدرارات تحت الجسر للشراح والبيانيين من دونما مُكْنة استنفاد الدلالات المبتغاة طرا. واختزال المسكوت عنه؛ إذ أوشكت كلمات الآية جميعُهن، على تضمّن مُضمَرات. "فقد اختُصر الكلام في قوله (ابلعي) و (أقلعي)، بعد أن تبين المراد؛ احتراسا من الحشو"[74].

68 - السكاكي، أبو يعقوب. (1983). مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور. (د-ط). دار الكتب العلمية. بيروت. ص: 421.

69 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 81.

70 - السكاكي، أبو يعقوب. (1983). مفتاح العلوم. ص: 418.

71 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 83.

72 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 84.

73 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 86.

74 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 87.

و"صفوة القول إن هذه الآية الكريمة، جمعت من فنون البلاغة ما يبعث على الدهشة والإعجاز، ونالت مرتبة عليا في الفصاحة والبيان، وشكلت وعاء لا ينضب في استشهادات البلاغيين والمفسرين، وكانت جوابا على كثير من الأسئلة المحيرة في البيان والمعاني والبديع من الناحية العملية"[75].

ختم:

لقد استهل المؤلف مبحثه استهلالا هائلا، أسال به لعاب المتلقي، وهيج شهوة قَرَأَتِه والنَّقَدَة. إنه شيء مضارع لسَلَطة الافتتاح في الأدبيات الطعامية. تهمّم الدارس بتنميق عمله والترصيع جُوانيا و بَرّانيا؛ موضوعًا والهِنْدامَا. ومثلما أخرجت هذه الآية العجيبة ابنَ المقفع عن روغانه ومعارضاته الفرقانية السرية المزعومة، جعلت كذلك عبد القاهر الجرجاني يركز نظريته النظمية - بجلال جِرم كتابيه - في حيز لغوي حرج، وموجز من القول مركز، جامعِ الدلالة مانعِها.

البردة الأمّ؛ مقاربة إقناعية:

أَلِفَ الدارسون قَرْن المُحاجة بالتناظر، بدءا من اعتبارها منتصبة على مقارعة القرينة بالقرينة في أجواء الخلاف والخصومة. فالإقناع يتباين بتباين نقاط البدء والمرامي والطرز الإقناعية، في حين يتأسس القريض "على مقدمات مُخيّلة، ونتائجُهُ تخييلية"[76]. "فالبرهان مثلا أقوى حجاجيا من الجدل، والجدل أعمق من الخَطابة؛ لأن الفرصة تُتاح فيه للمجادِل للاعتراض على خصمه. والشعر أقل حُجّيةً من الخطابة؛ لأن الإقناع بالتخييل يوحي بأن الناس خُوطبوا بما غُلّطوا به. إلا أن المقام التخاطبي، قد يجعل البرهان في مرتبة أقل من الشعر والخطابة"[77].

1- السياق الخِطابي في البردة "الكعبية":

حيثما كان الخِطاب ملائما لما يستدعيه السياق، صار مُبينًا، وبدرجة الإتقان والملاءمة، تختلف الطرائق في البيان، إلى أن تبلغ مبلغ التحدي سموًّا، أو تصويتات العجماوات سفالةً.

1-1- مُلابسات "بانت سعاد..":

أنكر كعب بن زهير بن أبي سُلمى على أخيه بجيرٍ إسلامَه، فشعر بنظم ضم هذا البيت:

.. عَلى مذهبٍ لمْ تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا *** عَليهِ، ولم تعرفْ عليه أخًا لَكَا.

فرد عليه بجيرٌ بن زهير بقريض كان من ضمنه هذا البيت:

فَدِينُ زهيرٍ وهو لا شيءَ دِينُهُ *** ودِينُ أبي سُلْمَى عَلَيَّ مُحرّمُ[78].

1-2- مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كعب بن زهير، مكانة ملؤها التبجيل والسؤدد. وقد رسم ما اعتراه من تهيّب وسط هذا المشهد، فجاء أعسر عليه من مجابهة الضراغم الهصورة المتهممة بتغذية أشبالها. غِبَّهَا، أوجز ابن زهير عِلل التهيب المذكور ضمن محل الشاهد من المتن الشعري:

إن الرسول لسيف يُستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم *** ببطن مكةَ لمّا أسلموا: زولوا.

75 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 87 و88.

76 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 90.

77 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 91.

78 - الجمحي، ابن سلام. (د-ت). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. (د- ط). مطبعة المدني. القاهرة. ج 1. ص: 99.

1-3- سياق طلب المعذرة:

وازى الرجل بين المكانة الرسولية المتصفة بالمهابة والرفعة والحصانة، والسياق الأدبي المحاط بالتهديدات والترقب والوهن. إنه - والحالة تلك - في عوز إلى من يشفق عليه. وبالجمع بين كلمة (الوشاة)، وعبارة (كثرة الأقاويل)، "تنشأ حجة ضاغطة استثمرها الشاعر لنفي التهمة عن نفسه، وجعَل منها موجّهات حجاجية ترجّح توجّها حجاجيا ممهدا للاعتذار ونيل الصفح:

فقد أتيت رسول الله معتذرا *** والعذر عند رسول الله مقبول"[79].

2- أصول الإقناع في البردة الأمّ:

2-1- المسلمّات والبَدَهيات:

تنهض المسلمات والبدهيات في (بانت سعاد..) على قواعد دينية، وقد ضمّن كعب تلكم القواعد بيتا يتيما يُشهر فيه إقرارَه بالعقيدة القشيبة واعتناقَه لها، وتسليمَه بمنطلقها السماوي الرباني، وبصدق رسالة خير الأنام طُرًّا؛ صلوات ربي عليه:

إن الرسول لسيف يستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول.

وجاء القَبول بالمصداقية المحمدية في تعبير: (إن الرسول لنور يستضاء به) - مِهادًا لطلب المعذرة - عاضِدا للمعمار الإقناعي للبردة؛ مادام خِطاب المعتذِر مُرسخٌ لعنصر قائم أصلا، فعرج به إلى باسقات السؤدد القريضي؛ ماذقا الانتشاء بالترافع "في صورة لقيت متوبة النبي صلى الله عليه وسلم، واستحسانه وإشارته إلى أصحابه؛ أنِ اسمعوا وعوا"[80].

2-2- المبادئ:

تضافر لمبدأ الصفح الذي نافح عنه مقرض القريض من الأسيقة والعلل، ما صيرهن مركزا تحلّق في هالته سائر المبادئ الإسلامية المتناوَلة في المتن، سيما وأن الرجل كان في مسيس إملاق إلى (الصفح)، في الدرجة الأولى؛ لمّا أضحى محاصَرا لا يلوي على شيء، منبوذا من أصفيائه، تترصده (الأراجيف) بحسب زعمه:

تسعى الوشاة جَنَابَيْها وقولهمُ *** إنك يا ابنَ أبي سُلمى لَمقتولُ

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُهُ *** لا ألْهِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغولُ؛

ليصير بذلك مبدأ الصفح في علياء التراتبية الإقناعية، حيث إنّ (ترتيبَ القيم، أهمُّ من القيمة ذاتِها)[81].

3- الحجاج بالمشاعر:

إن المتحدث وقتما يسوّق لذاته انطباعا معينا، إنما يبغي تحصيلَ وطرٍ ذي صلة، وإسنادَ ذالكم الطرح. وعليه فالقبض على المحصّلة القصوى، كفيل بسوقنا سوقا هادفا صوب الإحاطة بسلوكيات المتكلم وسمعته الكلامية، أو كينونته اللغوية التي تعمل لصالح الوطر وتَعْضُد المُحصلة التي تضبط الخِطاب بأسره.

79 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 100.

80 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 102.

81 - Chaim Perlman et Lucie Olbrechts-Tyteca: Traite de l argumentation (la nouvelle rhetorique), Editions de l universite de Bruxelles, 5eme edition, 2000. P: 109.

3-1- المتكلم الإقناعي في النص:

"إنّ الفعل الكلامي الأكبر الذي ينتظم هذه القصيدة هو فعل الاعتذار، وباعتماد لغة الحجاج، نقول إن الأطروحة هي: (طلب العفو)، ومن ثمة فالإيتوس الذي يؤسسه المتكلم يغذي هذه النتيجة ويدعمها ليكون خادما وتابعا لها"[82].

3-1-1- آصرة كعب بمتغزَّلَتِه:

إنّ مطمح الدكتور أحمد قادم من تضمين المعشوقة في الإقناع بالمشاعر، هو آصرتها بالأديب؛ لَحْظَتَمَا طفق ينعتها بما ينصفها من حُسن، "ثم أردف ذلك بما يعانيه منها من صدود يجعل حالته أحق بالشفقة والعطف:

وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا *** إلا أَغَنُّ غَضيضُ الطّرْف مكحولُ

هيفاءُ مقبلةً، عجزاءُ مدبرةً *** لا يُشتكى قِصر منها ولا طولُ"[83].

3-1-2- عُلْقَة الأديب بالراحلة:

بَدَهيّ في الإقناع أن المشاعر مكونات يَعضُدهنّ الحِجا، ويضمن إجرائيتهن الصواب، وإلا صِرْنَ تدليسا، ولذلك عول الشاعر في رسم خطوط كينونته اللغوية، على الموضوعية؛ بوساطة استثمار البقع الجامعة. فجميع مَن يأتي مَجيئَ المقرّ بجريرته، مشرئبا إلى الصفح، فإنه بالمغفرة جدير. وهو ما يَصْدُق على مبدع اللامية؛ "ليتحصل مما تقدم أن الشاعر باتخاذه أنضرَ الرواحل وأسرعَها، يتوق إلى لقاء الحبيب، ويتلهف إلى التملي بمجالسته، وهو توق سيتكلل بنيل بردته صلى الله عليه وسلم"[84].

3-1-3- حالة الذاهل النادم:

اِقترح الشاعر بادرته في ثلاثية مبدئية متكاملة ومتساندة؛ ترجمها في صلته بالأنثى، ورابطته بالراحلة، وآصرته بجناب النبي صلى الله عليه وسلم. وحاجج على وهنه المجرد والمادي في ذالكم الاندحار المثلث الرءوس، "فسعى جاهدا إلى التعويض عن الخسارة بالتوبة النصوح، وطرق أبواب النبوة، ونبذ أخلاق الجاهلية التي كانت سببا في إهدار دمه"[85].

3-1-4- لوحة المُصرّ الطموح:

إنها لوحة خطها كعب لذاته غِبَّ تنبيه المشائين بنميم له، شاعرًا:

كلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالت سلامتُهُ *** يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ.

فأخذُ المنية في الحسبان، والسعيُ لمقابلة أفضل الأنام، صلوات الرحمن عليه، أنبتا لديه رجاءً في العيش؛ "لأن في الإقبال على الرسول صلى الله عليه وسلم، إقبالا على الحياة، وهذه المكونات تكشف لنا صدق الشاعر ورغبته الأكيدة في نيل العفو:

أُنْبِئتُ أن رسول الله أوعدني *** والعفوُ عند رسول الله مأمولُ"[86].

---

82 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 105.

83 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 107.

84 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 109.

85 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 109.

86 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 110.

3-1-5- لوحة الرجل ذي الصحيفة البيضاء:

نقش أديبنا لذاته لوحة الرجل ذي الصحيفة البيضاء؛ الذي لم يجترح ذنبا يوجب القصاص؛ فأنشد:

لا تأخُذَنّي بأقوال الوشاة ولمْ *** أُذنبْ ولو كَثُرت فيَّ الأقاويلُ.

4- الميسم الإقناعي للاختيارات اللغوية:

4-1- إقناعية اللفظة:

تتعدى اللفظة بُعدها المعجمي البحت، لتستحيل عنصرا قاموسيا يتقاطع فيه عمود الصرف، وأفق الإعراب، زيادة على تمتعها بـ "خصائص اقتضائية وتقويمية وتداولية، تسمح لها بأن تؤدي وظيفة حجاجية في الخطاب، كما تكسبها حركة حجاجية؛ عندما تنتزع موقعها داخل الملفوظ"[87].

4-1-1- النّمّامون:

في حين زهِد كعب في نعوت ثرّة، انتقر شيمة السعاية؛ ما دامت قمينة برعاية مرامي نصه القريضيّ، الشاخصة رأسا في إقناع النبي صلى الله عليه وسلم، بتحامل غالب ما وصله من معلومات تدين الشاعر.

4-1-2- رسول الله/الرسول:

هي قرينة (باتوسية) موجهة إلى نبي الهدى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، بيد أنّ فاعلية هذا الرهان الإقناعية لا تتمثل في الحفز؛ مادام المخاطَب عليه السلام، جليل القدر؛ لا يناسبه ذلك، بل اعتراف بيّن بالنبوة، ما يمهد السبيل للصفح، ولإسلام الرجل، الذي سيشرعِن له ذِمّةً تَقيهِ ما يَجِدُ ويُحاذِر.

الحصيلة:

رأى الباحث أخيرا أنّ البردة الأمّ منحتنا -عبر الإصاخة لعنفوانها الإقناعي- بلوغ حزمة من المحصلات، يبدو أنّ أجلاهنّ تفاعلُها والمقاربة الإقناعية، لاسيما وهي راجحة صوب الأقاويل الخَطابيات، ومهارة كعب بن زهير في اهتبال التداخل اللساني السائق للجمل سوقا إقناعيا؛ أزاح صك الإدانة جانبا، ورسخ قرينة المظلومية والتطلع تلقاء الصفح، وثباتُه على مسلك تنويع صيغ الدلالات؛ ليقينه الأكيد أن النبي عليه السلام، لا يؤسس أمور الديانة على الأحاسيس والمراوغات، واستعمالُ المبادئ والوقائع بصيغة إقناعية؛ يقلص ميولات الرفض والإنكار.

وقد اتصف مسلك الدكتور أحمد قادم البحثي بحسن النقلة، وسلاسة التحول من سياق صوب آخرَ؛ من دونما قطائعَ أو وهدات أسلوبية تبدد اتساق المتن. واصطبغت هويته التأليفية كذلك بتشغيل المعجم العربي التراثي فينة بعد أخرى؛ وهو العنصر المتماشي ورؤيتَه للبديع الذي يعتبره بانيا للمعاني، مثلما هو مرصع للمباني، ومنمق لهن؛ أي وظيفة البديع تحسينا وتكوينا.

نجاعة الإقناع بالمشاعر:

يتعالق الدليل بجميع ما نوفح به المُنازِع سوى القوة والإجبار. ولا يحصل الإفحام الإقناعي إلا عبر القرائن والإثباتات، وإنْ يكن جِرْم التباين مع المخالفين عظيما. "والحجاج من المفاهيم المتشعبة،(...) ومجاله هو المحتمل وليس اليقينيات.(...) أما العواطف، فالمقصود بها في بلاغة الحجاج: الإيتوس والباتوس؛ وهي من البراهين الصناعية"[88].

87 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 112.

88 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 188.

فالحجاج اللساني لا يقع بوساطة إتقان الصياغة اللغوية وحسب، أو عبر الإثبات القرينيّ المؤدي إلى محصلات دامغة، إنما يُنظر فيه إلى ميولات المستقبل؛ "أي مواضع الانفعال، وهو ما اصطُلِح عليه بـ(الباتوس)، كما يرجع إلى الصورة التي يُعطيها المتكلم عن نفسه، وينال بها ثقة المخاطَب؛ أي (الإيتوس)"[89].

والمشاعر واحدة من أكْفَإِ المكونات الإقناعيات في البيان الإنسانيّ. لذلك لا يعْزُب عن البال ما لمغناطيس الأحاسيس من طاقة على التغيير، إذِ المرء ينصاع للخِطاب، وينساق مقتفيا خلجات نفسه، أغزر مما يطيع حجاه واللبّ.

فَـالإيتوس -باتفاق- هو المجلى العاطفي للمرسِل، بمعنى اللوحة التي يخطها المتحدث عن ذاته، هذه اللوحة التي قد تسبق النص اللغوي، أو قد تأتي في عقبه. وقد أجمعت وجهات النظر جميعُهن على حساسية الأحاسيس في الإقناع، ومركزية المخاطَب في جودة الخِطاب. فالمشاعر دليل شاخِصٌ يشهد على سلوكيات المتكلم، وحافز يستفز مشاعر المصغين إليه بالمهيع النافع لدعواه، فيدفعهم - والحالة تلك - إلى القَبول والتسليم.

خلاصة الحديث أنّ أكاديميَنَا يضفر في أعماله البحثيات بين النزوع العلمي، والهوى الأدبي. نلمس صبغته العلمية في التناول والبناء والمنهجية، والسعي صوب الحجاج والإقناع، ووضوح الرؤيا والتصور. بَيْنَا تتبدى لوثةُ الأدب المُحبّبَة الأثيرة، وفنيتُه لديه، في عشقِه للآداب، وهيامِه بلسان العُرْب والأعاريب والأعراب؛ منتخبا لمخطوطه أعطر المفردات التراثيات، و منتجبا لثمرات يراعه أظرف الجملِ؛ بديعاتِ التأليف عجيباته. وعلاوة على ما لُهِجَ به، أفاد أستاذ البلاغة والنقد من انشراعه المثْنَى المتوازن على مصنفات التراث التليدات، وكذا ثمرات مطابع العصر الحديث الطارفات، ما صنع في هويته الأسلوبية العربية الخاصة، ضربًا من التواؤم والتعاضد؛ متسقَ المباني المقروءات، ومنسجمَ المعاني المفهومات.

التفاعل البلاغي في المنجز الجاحظي:

إنّما البلاغةُ وضعُ المخاطَب في صورة المراد من الخِطاب بوسيلة يَعِيها، وتُجْلي المطمور الذي يمور في قلب المتحدِّث. وقد وهب الحَدَقِيُّ / الجاحظ اعتبارا بسيطا لوسيط الصياغة اللغوية على طريق بلوغ الخطاب المبين. واغتبط أهل البيان في العربية بالسياق، إلى أن أضحى مرادا بيانيا في حد ذاته؛ فقالوا بأن المعوّل عليه في الأمر إنما هو مناسبة المقول لطبيعة الظرف السياقيّ؛ بمعنى رتق النص بمقامه التخاطبيّ غداة الإجراء التداولي.

"غير أن الأهمية التي حظي بها (المقام) في الدرس البلاغي القديم، لم تُكرَّس على مستوى التنظير للمصطلح، ولتعريفه"[90]. ومهما يكن من أمر، تظل البلاغة دابِرًا كما القابِل، قطبا جذريا ضمن أقطاب التفاعل البشري في بيان اللسان العربي؛ بما مثلته من سبيل سابل لنيل المبتغى من المخاطَب، وتمرير الدلالات بصيغة لا تعوزها الإثارة والبهاء.

لقد اتّصف الدكتور أحمد قادم في مشروعه البلاغي النقدي، بالنظرة الكلية (البانورامية)؛ التي أغدقت عليه مُكْنَةَ تَشَرُّب موضوعاته والمنجز بتحكم وفاعلية؛ بفضل ما تستبطنه الإطلالة المشْرِفة، والرؤيا الجامعة المكتملة من استحواذ على المشهد البحثي برمته. وقرينة ما ذُكر، فلاحه الباهر في تفتيق الموضوعات، واشتقاق الإشكالات، وكذا تصميم الأبحاث، ثم إنشاء المباحث والمطالب المسوَّغة بالعناوين الضابطة وتفريعاتها المنمّة عن حسن الإعداد والتدبير، وجودة التسيير والتحكم في مسارات الدراسات ومساربهن.

طبيعة الحجاج (العُمَريّ) في "المحاضرة والمناظرة..":

تُعوّل المحاضرة على المصطلحية والانتظام في تأسيس العلم، بينا تتكفل المناظرة بصيانته والمنافحة عنه، بحسب محمد العمري في تقدمته لمصنفه: (المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني)[91].

وعلى الجملة، نحن بصدد رؤيتين للبلاغة ثنتاهما تحاضران وتناظران: "1- البلاغة العامة: وتقوم على الاحتمال والتأثير، وتتسع لتشمل التخييل والتداول. كما تُبنى على الادعاء. 2- البلاغة المختزلة: وتقوم على تصور ضيق رسخه شراح التلخيص الذين أهدروا البعد التخييلي للإنشاء وحكموا المقام الخطابي"[92].

89 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 188.

90 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 232.

91 - العمري، محمد. (2017). المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني. (د-ط). أفريقيا الشرق. الدار البيضاء.

92 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 262 و263.

بناء عليه، يعتمد محمد العمري تصورا للبلاغة يوحد بين المجاز والتخاطب ضمن ظرف شامل هو الاحتمال. ويظن أن إغفال أحد القطبين، كفيل بعرقلة انبعاثها. فعمله - تبعا لذلك - هو البلاغة العامة. يقول: "إن موضوع علم البلاغة هو: الخِطاب الاحتمالي المؤثر؛ القائم على الاختيار مناسبةً أو إغرابا. الاحتمال نابع من بناء الخَطابة على ادعاء الصدق، مع احتمال الكذب (الخيال)، وبناء الشعر على ادعاء الكذب، مع احتمال الصدق"[93].

بينما ينهض عمل رشيد يحياوي في مصنفه: (التبالغ والتبالغية: نحو نظرية تواصلية في التراث)[94]، على صُوًى مغايرة؛ مثلما هو مذكور في الوسم الفرعي للكتاب. إنها "بلاغة تبالغية يتأسس فعل الكلام فيها على التواصل. وفي حقل التواصل هناك كلام عادي وكلام بليغ. وليست التبالغية بهذا المعنى سوى (النظر المقامي في وظائف العلامات التبالغية ومقاصد المتبالغين)"[95][96].

إلا أنّ التباين لا يشرعن إيذاء المخالِف، وكل عدول عن صلب النقاش نحو التجريح، يجنح بالخطاب صوب التزييف الممجوج في الإقناع، من مِثل وصم استقبال محمد العمري لمؤلَّف (التبالغية..)، بالاستقبال الـ(متوترن). وقد ورد في (المحاضرة والمناظرة..) أن رشيد يحياوي (اعتمد أعلى درجات العنف في هذا الفصل، واستعمل أساليب مغالطة تستحق أن تُسجَّل وتُدرَّس)[97].

لقد استدعى السيد أحمد قادم ألمع المصادر المعرفية لقطبي الخصومة العلمية، باذلا قُصاراه ألا يُحابيّ أحد القطبين على حساب مُخالِفه. وكان الشغل الشاغل للباحث هو الأوبة بموضوع البلاغة العامة تلقاء الأضواء، وبناء عبّارات للتفاعل العلمي الهادف بين (البلاغة العامة) المبنية على التخييل والتداول، و(التبالغية) المشيدة على التواصل والاعتبار السياقي لأوطار المتبالغين. فأمسك مصنف (المقاربة البلاغية للخطاب..) بزمام التوافقات المتاحة، بله التعارضات الكائنة، في قضية مفعمة بالتباين والثراء، ومقارعة البينة بمثيلتها، بين رائدَين مغربيين؛ من زمرة المتهممين بالدرس البلاغي عتيقه والقشيب.

الخاتمة:

سعى - إذًا - رجلُ الإدارة - واليراع قبْلَها - في سِفره البلاغي - قيْد التهمّم - إلى إتقان ثمَرة فكره على الصُّعُد جميعِهن؛ لسانا وفحْوًى و مهيعا. فعلى أديم اللغة، انتقر الباحث معجمه بصيانة، ونسّق تراكيبه بكياسة. أما على مستوى المُفاد والمحتوى، فقد شغّل عقيدته البحثية الخاصة في خاماته النصية، ثم استأنس بأنظار النَّقَدَة؛ من أهل البلاغة و التَّبْحاث المتخصصين، العُتَقَاءِ منهم و الحُدَثاء، المنتسبين إلى أرومته الثقافية والغُرَبَاء.

ولاذ بلاغيُّنا -غِبًّا- في عنوناته والوسوم بطراز من البراعة في تركيب اللفظات، وتَكْرار العبارات معكوسةً في إضافتهن إلى ما بعدهن من كلم، لا سيما وحسابات الباحث وتقديراته، كنّ قبليات ومدروسات؛ حتى لا يشاكسَ الإطار فحواه أو العكس. فأُعْبتا الانتقاء المعجمي ثم البرمجة التأليفية ضمن العناوين، يوازيهما صواب الفحوى الموافق للشكل اللساني الذي ناور به المصنِّف مخاطَبيه؛ رونقًا، وتوزيعًا، وظَرْفَ نُبَهَاء.

لقد أنصف الأكاديميّ أحمد قادم علم تفسير القرآن الكريم إنصافا نبيلا؛ ساعةَ توكيده لِمِرارِ ذواتِ العَدد أن علم بلاغة العربية مدين لتفاسير الذكر الحكيم، بالآلاء البسيطات، والخِدْمات الجسيمات، عند بداياته الأُوَل والتطور، ثم فتوحاته الجادّات، بلْهَ النماء والتبلور.

اِنساب يراع الرجل في توأمة متناغمة بين اللسانين العربيين الفصيحين؛ الراهنِ الجليّ، والدابر البهيّ ذي يسير الإبهام؛ بفعل شحط المزار الزمني. وتكاد الكلمات التراثيات المليحات ضمن بصمته الأسلوبية، يكنّ مضارعات للمقدار المعقول الذي تتخذه التوابل العبقات عبر أنامل مهرة الطهاة في الأطعمة الفاخرات والموائد العامرات، بل إنّ مفرداته التليدات البهيات، على وَشَكَانِ أنْ يحاكين في مواضعهن من الصياغات، الأكفّ الرحيمات للدهاقنة الأطباء؛ عند استهدافهم لمكامن الأدواء على أبدان مرتاديهم والمرضى.

---

93 - العمري، محمد. (2017). المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني. (د-ط). أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. ص: 47.

94 - يحياوي، رشيد.(2014). **التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث**. ط1. دار كنوزالمعرفة للنشروالتوزيع. عمان – الأردن. أحرز به مؤلفه جائزة المغرب للكتاب ضمن قسم الأبحاث الأدبية واللغوية والفنية عام: 2015.

95 - العمري، محمد. (2017). المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني. ص: 12.

96 - قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب. ص: 265.

97 - العمري، محمد. (2017). المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني. ص: 336.

واتصفت مقالات الكتاب بالتوزيع الهندسي المنظم، والدراسة القبلية للمراحل: مَطالبَ وعناوينَ. والدليلُ على ذلك مكاشفة الباحث قَرَأته بنياته والخطط مُذ تقدمات الأبحاث. أما خواتيمه فحاضنات هُنَّ دوما للخلاصات والنتائج. ويشهد على حسن برمجة السِّفْر، التشجير الهندسي المنظَّم لعناوين الدراسات، المُحْكَمة بترقيم تفريعيّ سُلَّميّ، ينتقل بينها الرجل بتؤدة وثقة عاليين بفضل عمله القبليّ المحكك، والاشتغال بوسيلة المربعات التي يتخذها علماء الحفريات آلية ناجعة للمسح العلمي الاستقصائي للمواقع الأثرية.

بل إنّ الدارس يغادر - بشكل دوريّ - أداءه العلمي الواضح الدقيق، لِيَؤُمَّ تراكيب لسانية أدبية شفيفة وعريقة؛ بها من العِشق والحِذق الأنصبة الوافرة، والبسطة الكاثرة. أما تجويده على ساحة المنهج، بتهيئتِه مكتوبَه وتحريره أفقيا وعموديا؛ فقد سجلت هذه الدراسات إخلاصَ الرجل لموضوعه عموديا على طول التناول، وفلاحَه في التخطيط الأفقي لمتضمنات مؤلَّفه متمثلةٍ في الوسوم والتسميات والتفريعات المرقمات، اللائي يَرْعوين لتدرج التطورية العنوانية.

لائحة المصادر والمراجع:

الأسبري، عمر. (1982). الرسالة الجودية في الآية النوحية. (ضمن: رسائل الفقه واللغة). تحقيق: عبد الرءوف الجبوري. ط 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

الألوسي، السيد محمود. (2009). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. بيروت.

أدراوي، العياشي. (2013). التخاطب السيء وصلته ببلاغة التضليل، نحو تقويم أخلاقي للخطاب. مجلة البلاغة وتحليل الخطاب. العدد الثاني.

الجمحي، ابن سلام. (د-ت). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. (د- ط). مطبعة المدني. القاهرة.

الجاحظ، عمرو. (1998). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط 7. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر. (1989). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط 1. مطبعة المدني. القاهرة.

الرازي، فخر الدين. (1420هـ). التفسير الكبير. ط 3. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

الزمخشري، جار الله محمود. (2006). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. ط 4. دار الكتب العلمية. لبنان.

السكاكي، أبو يعقوب. (1983). مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور. (د-ط). دار الكتب العلمية. بيروت.

صولة، عبد الله. (2007). الحجاج في القرآن. ط 2. منشورات كلية الآداب. منوبة - تونس.

العمري، محمد. (2017). المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة؛ مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني. (د-ط). أفريقيا الشرق. الدار البيضاء.

قادم، أحمد. (2023). المقاربة البلاغية للخطاب، نماذج تحليلية. ط1. ركاز للنشر والتوزيع. إربد – الأردن.

قادم، أحمد. (2019). بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل. ط1. عالم الكتب الحديث. إربد- الأردن.

يحياوي، رشيد. (2014). التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث. ط1. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. عمان–الأردن.

***

Chaim Perlman et Lucie Olbrechts-Tyteca: Traite de l argumentation (la nouvelle rhetorique), Editions de l universite de Bruxelles, 5eme edition, 2000.

***